منهج ابن نور الدين ومذهبه النحوي في حروف المعاني

الباحث/حسين منصور علي المرسي

الملخص:

هذا بحث موسوم بـ (منهج ابن نور الدين ومذهبه النحوي في حروف المعاني).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة ومطلبين وخاتمة.

فأما المقدمة: فقد تحدثتُ فيها عن تقسيم الحروف في اللغة العربية، وبينتُ فيها أيضًا أهمية كتاب (مصابيح المغاني في حروف المعاني) لابن نور الدين بالنسبة للمؤلفات السابقة له في هذا الباب المهم من أبواب النحو.

وأما المطلبان فكالآتي:

المطلب الأول: منهج ابن نور الدين في حروف المعاني.

المطلب الثاني: مذهبه النحوي.

وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم نتائج البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

Summary

This research is entitled (The approach of Ibn Nur al . Din and his grammatical doctrine in the letters of meanings).

The nature of the research required that it include an introduction, two requests.

As for the introduction, I taked about the division of letters in the Arabic language, and I also showed in it the importance of the book (Misabah Al . Maghani in letters of meanings) by Ibn Nur al . Din in relation to his previous works in this important chapter of grammar chapters.

As for the two requirements, they are as follows:

The first requirement: Ibn Nur al. Dins approach to the letters of meanings.

The second requirement: his grammatical doctrine.

As for the conclusion, it included that the most important results of the research, and proven sources and references.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: .

تنقسم الحروف في اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام[١]:

١. حروف المعجم، وهي أصوات مقطعة منفصلة غير مقترنة، ولا تدل على معاني الأسماء والأفعال والحروف، لكنها تعد أصل تركيب أقسام الكلم. فالباء في (ضرب) هي صوت وليست حرفًا محضًا مستقلًا، دالا على معنى في غيره، والضاد والراء مثلها. فهذه الأحرف الثلاثة هي حروف هجائية صوتية، نابجة عن تركيبها كلمة (ضرب) دالة على الحدث والزمان.

٢. الحروف التي هي أبعاض الكلمة، ذلك أن البعض حد منسوب إلى ما هو أكثر منه، كما أن كل منسوب إلى ما هو أصغر منه في نحو: جامعة؛ فالجيم بعض من كل، أي: من مجموع الحروف الهجائية التي تتركب منها كلمة الجامعة، وهذا الحرف منسوب إلى أكثر منه.

٣. حروف المعاني، ك (مِنْ) و (إلى) و (في)؛ وهي حروف دالة على معانٍ في غيرها. ف (مِن) تدخل في الكلام للتبعيض، وهي تدل على تبعيض غيرها لا تبعيض نفسها.

ويمكننا أن نجمل ما سبق، فنقول: الحروف نوعان:

١. حروف المباني، وهي التي تتركب منها الكلمات، وسميت بذلك لبناء الكلمة عليها وتركيبها منها. وتسمى حروف التهجي أيضا[٢].

٢. حروف المعاني، وهي الأداة التي تُسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، ك (عن وعلى) ونحوهما[٣]، وسميت بذلك لأنها موضوعة لمعان تتميز بها من حروف المباني[٤]. وهذه هي التي عليها مدار هذا البحث.

وإذا نظرنا إلى الكتب التي تناولت حروف المعاني قبل ابن نور الدين، نجدها قد اتخذت شكلين من التأليف[٥]:

١. كتب لم تختص بدراسة حروف المعاني، بل جاءت فيها الحروف في ثنايا حديثها عن قواعد النحو إجمالا، ومن هذه الكتب: الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرّد.

٢. وكتب خُصِصَتْ لدراسة حروف المعاني، فتعرِضُ الأداة، وما تأتي عليه في كلام العرب، وما قد يَرِد على معنى الأداة من مناقشات وآراء، ومن هذه الكتب: منازل الحروف للرُّمَّاني، الأزْهِيَّة في علم الحروف للهروي، رصف المباني للمالقي، الجنى الداني للمرادي، ومغني اللبيب لابن هشام.

وابن نور الموزعي جاء بعد هذه الدراسات المتخصصة وغير المتخصصة فأفاد منها جميعها، وخاصة المغني فنجده قد استفاد منه من حيث المنهج والمادة مضيفًا إلى ذلك ما اطلع عليه في الكتب الأخرى[٦].

فكتاب مصابيح المغاني في حروف المعاني لابن نور الدين يعدُّ أحد الكتب القيمة التي تناولت حروف المعاني، هذا الباب المهم من أبواب النحو، وقد اتسَّم بالاستقصاء والشمول.

وفي هذا البحث سأتناول منهج ابن نور الدين ومذهبه النحوي في حروف المعاني، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: منهج ابن نور الدين في حروف المعاني.

المطلب الثاني: مذهبه النحوي.

أولًا: منهج ابن نور الدين في حروف المعاني:

يمكن تلخيص منهج ابن نور الدين في دراسة حروف المعاني في النقاط الآتية:

١. الإكثار من الاستشهاد على المسألة الواحدة.

حرص ابن نور الدين في ثنايا شرحه لحروف المعاني على الإكثار من الاستشهاد بالشواهد النحوية المختلفة على المسألة الواحدة، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

. ذكر ابن نور الدين أن (إذا) ترد على أوجه منها: أن تكون اسما للزمن الماضي كإذ في قول بعضهم، واختاره ابن مالك، كقوله تعالى: **(وَلَا عَلَى الذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أجدُ مَا أحْملُكُمْ عَلَيْهِ)**[٧]، وقوله تعالى: **(وَإِذا رَأوا تِجَارةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا)**[٨]، وقول الشاعر[٩]:

وَنَدْمَانٍ يزِيدُ الكَأسَ طِيبًا سَقَيْتُ إِذَا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ[١٠]

. وذكر ابن نور الدين أن (مِن) بالكسر من حروف الجر، وترد على ستة عشر وجهًا:

الأول: ابتداء الغاية، وهو الغالب عليها حتى زعم جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه، وتقع لذلك في غير الزمان اتفاقًا كقوله تعالى: (**مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**)[١١]، وقال الكوفيون والأخفش والمبرد وابن درستويه تقع في الزمان أيضًا بدليل قوله تعالى: (**مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ**)[١٢]، وقول النابغة يصف السيوف:

تُخَيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ[١٣]

ومنه الحديث[١٤]: (فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة)[١٥].

٢. بيان معاني القرآن الكريم.

كان ابن نور الدين عالما بالتفسير، ولذا نجده أحيانا يقوم ببيان معاني بعض شواهده من القرآن الكريم، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

. ذكر ابن نور الدين أن من معاني (إذ): أن تكون للتعليل كقوله تعالى: (**وَلَنْ يَنفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذابِ مُشْتَرِكُونَ**)[١٦]، أي: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا[١٧].

. وذكر أن من الأوجه التي تأتي عليها (إذا): أن تكون بمعنى الزمن الحاضر كقوله تعالى: (**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**)[١٨]، (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**)[١٩]، ولا يجوز أن يكون معناها هنا الاستقبال لأنه يلزم منه أن تكون ظرفًا لفعل القسم، أي: إذا يغشى الليل أقسم لأن القسم إنشاء في الحال لا إخبار عن قسم يأتي ولأن قسمه سبحانه قديم، والتقدير: أقسم بالليل وقت غشيانه[٢٠].

٣. الإشارة إلى اللغات المختلفة الواردة في الحرف موضع البحث.

كان ابن نور الدين يشير أحيانًا في ثنايا شرحه لحروف المعاني إلى اللغات المختلفة التي وردت في الحرف موضع بحثه، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

. ذكر ابن نور الدين أن (إمّا) المكسورة المشددة تأتي على وجهين: مركبة وغير مركبة. وذكر أن (إمّا) التي ليست بمركبة فيها لغات: الكسر مع التشديد وهو أشهرها، وقد تفتح همزتها، وقد تبدل ميمها الأولى ياء[٢١].

. وقال ابن نور الدين في معرض حديثه عن (رُبَّ): " وهي حرف جر عند البصريين، وقال الكوفيون باسميتها....وفيها لغات: ضم الراء وفتح الباء مع التشديد وهو الأصل، ومع التخفيف وقد قرئ بذلك قوله تعالى: (**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**)[٢٢].....وتزاد فيها التاء كما زيدت في ثُمَّ، وأنشد أبو زيد[٢٣]:

مَاوِيَّ بَلْ رُبَّتَمَا غَارَةٍ شَعْوَاءَ كَاللَّذعَةِ بِالمِيسَمِ "[٢٤]

٤. الإحالة إلى ما تقدم ذكره وإلى ما سيأتي.

كان من منهج ابن نور الدين الإحالة إلى ما تقدم ذكره وإلى ما سيأتي، وذلك يدل على حرصه على عدم الإعادة والتكرار، ودفع الملل عن القارئ، وإيصال كل ما هو مفيد له، كما أن ذلك يؤدي إلى ربط مادة البحث بعضها ببعض.

وكان يحيل إلى الموضوع السابق، فيقول: وقد تقدم ذكره[٢٥]، وقد تقدم الكلام عنها في باب إن[٢٦]، وفيه كلام قد سبق[٢٧].

وقد يحيل إلى موضوع لاحق، فيقول: يأتي ذكرها في باب اللام إن شاء الله تعالى[٢٨]، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى[٢٩]، وسيأتي بيانه قريبا إن شاء الله تعالى[٣٠].

٥. الاعتماد على بعض الأصول والكليات التي تعارف عليها علماء الأصول واللغة.

اعتمد ابن نور الدين في شرحه لحروف المعاني على بعض الأصول والكليات التي تعارف عليها علماء الأصول واللغة ، ونذكر من الأصول التي اعتمد عليها ابن نور الدين ما يأتي:

. لا تثبت القواعد الكلية مع قيام الاحتمال.

. هذه لغة شاذة، فلا يخرج عليها القرآن العزيز، وإنما يخرج على الوجه القوي القريب دون الضعيف البعيد.

. هذا أثر، والأثر لا يقوم حجة في القواعد الكلية، وإنما يستأنس به فيها مع قيامها بغيره من لسان العرب وكتاب الله سبحانه.

ومثال اعتماده على هذا الأصل، ما ذكره ابن نور الدين أن (كَأَيِّن): لها معنيان، الثاني منهما: الاستفهام، وهو نادر، وأثبته ابن قتيبة والجوهري وابن عصفور وابن مالك، واستدل عليه بقول أُبَيّ بن كعب لابن مسعود رضي الله عنهما[٣١]: (كَأَيَّن تقرأ سورة الأحزاب؟ فقال: ثلاثا وسبعين آية)، ولك أن تقول هذا أثر، والأثر لا يقوم حجة في القواعد الكلية، وإنما يستأنس به فيها مع قيامها بغيره من لسان العرب وكتاب الله سبحانه[٣٢].

٦. ذكر آراء النحاة مع التعقيب عليها.

كثيرًا ما كان ابن نور الدين يعمد إلى ذكر آراء النحاة في المسألة النحوية ثم يعقب عليها، ويبدي رأيه فيها، ومن المسائل التي توضح ذلك ما يأتي:

. ذكر ابن نور الدين أن من معاني (لام) الجر موافقة (عن)، كقوله تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)**[٣٣]، قاله ابن الحاجب، وقيل: هي لام التعليل

قاله ابن مالك وغيره، وقيل: لام التبليغ والتفت عن الخطاب إلى الغيبة، أو يكون اسم المقول لهم محذوفًا، أي: قالوا لطائفة من المؤمنين لما سمعوا بإسلام طائفة أخرى[٣٤].

وقال ابن نور الدين معقبًا على ما سبق: " وهذا القول حسن. أي القول الأخير. لأنه جاء في التفسير: أن الكافرين هنا هم اليهود، قالوا ذلك في شأن عبدالله بن سلام ومن أسلم معه، وهكذا حيث دخلت اللام على غير المقول له، فالتأويل على بعض ما ذكرناه نحو[٣٥]: **(قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا)** "[٣٦].

وإذا كان من منهج ابن نور الدين في شرحه لحروف المعاني أن يذكر الآراء النحوية المختلفة في المسألة المطروحة، ثم يعقب عليها برأيه الخاص، فأحيانًا ما كان يعرض ابن نور الدين هذه الآراء دون أن يعقب عليها برأيه الخاص، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

. ذكر ابن نور الدين أن من المعاني التي ترد عليها (أو): الإضراب كـ (بل)، فعن سيبويه إجازته بشرطين:

أحدهما: تقدم نفي أو نهي. والثاني: إعادة العامل، نحو: ما قام زيد أو ما قام عمرو، ولا يقم زيد أو لا يقم عمرو، نقله عنه ابن عصفور.

وقال الكوفيون، وأبو علي، وأبو الفتح، وابن برهان: تأتي مطلقا، واحتجوا بقول جرير[٣٧]:

مَاذَا تَرَى فِي عِيَال قد بَرِمتُ بهم لـم أُحْصِ عِدَّتَهُمْ إلا بِعَدّادِ

كانوا ثمانينَ أو زادوا ثمانيةً لولا رجاؤُكَ قد قتَّلْتُ أولادي[٣٨]

فقد ذكر ابن نور الدين آراء النحاة وأقوالهم في إفادة (أو) معنى الإضراب كـ (بل)، ولم يعقب عليهم برأيه الخاص.

٧. اختتم تعقيباته عن النحاة بقوله: (الله أعلم).

لم يكن ابن نور الدين ناقلًا عمن سبقوه فحسب، بل كانت له تعقيبات عما ينقله عن النحاة، وكثيرًا ما كان يختم تلك التعقيبات بقوله: والله أعلم، والأمثلة على ذلك كثيرة، ونكتفي هنا بالإشارة إليها[٣٩].

٨. الاعتماد على أسلوب الحوار والافتراض.

اعتمد ابن نور الدين في كتابه (مصابيح المغاني في حروف المعاني) على أسلوب الحوار والافتراض، كأن يقول: فإن قيل:...أو فإن قلتَ:...ويورد الافتراض ثم يعرج عليه بقوله: قلنا:... أو الجواب:... وربما أراد بذلك إثارة ذهن القارئ، وجذب انتباهه، والعمل على التركيز في المسألة المطروحة دون تشتيت الأفكار، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

. قال ابن نور الدين في معرض حديثه عن معاني الهمزة: " الهمزة موضوعة لمعنيين: ...الوجه الثاني: الاستفهام الحقيقي، وهي أصل أدوات الاستفهام، ولذلك يستفهم بها عن التصور الذي هو طلب معرفة ماهية المسئول عنه، نحو: أقائم زيد أم عمرو؟ ويستفهم بها عن التصديق الذي هو حكم على الماهية، نحو: أزيد قائم؟ وليس ذلك لغيرها من الأدوات، فهل مختصة بالتصديق، نحو: هل قام زيد؟ وبقية الأدوات مختصة بطلب التصور، نحو: من جاءك؟ وما صنعت؟ وكم مالك؟ وأين بيتك؟ ومتى سفرك؟ ولأجل هذه الأصالة جاز حذفها مع بقاء معناها إذا دل عليها الخطاب، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا بِسَبْعٍ رَمَيْنَ أَمْ بِثَمَانِ[٤٠]...

وعليه قراءة ابن محيصن: (**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرَهُمْ**)[٤١] بحذف الهمزة لأن أم تدل عليها.، وأما إذا لم يدل عليها الخطاب فلا يجوز حذفها، وقد أنكر على عمر بن أبي ربيعة قوله:

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ: بَهْرًا[٤٢]

فإن قيل قد حذفها امرؤ القيس في قوله:

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ[٤٣]

فالجواب أن ألف النداء دلت على همزة الاستفهام "[٤٤].

. وقال ابن نور الدين أيضا في معرض حديثه عن (لا): " فإن قلتَ: فما الفرق بين التي لنفي الجنس على سبيل التنصيص وبين التي لنفي الوحدة؟

قلنا: الفرق يظهر في تأكيد النفي، فتقول في التي للتنصيص: لا رجل في الدار بل امرأة، ولا يجوز أن تقول: بل رجلان؛ لأنك نفيت جنس الرجال على سبيل التنصيص، فكأنك شملت جميع أفرادهم بالذكر، وتقول في توكيد التي لنفي الوحدة: لا رجلٌ في الدار بالرفع: بل رجلان؛ لأنك لم تنف إلا الرجل وحده دون غيره، وهذه هي التي تعمل عمل ليس، لكنها لا تختص بهذا المعنى، وإن اختص بها بل تكون لنفي الجنس أيضا، فتقول في تأكيدها إن أريد بها نفي الجنس مطلقًا: لا رجلٌ في الدار بل رجلان، كأنك أردت ظاهر العموم ثم خصصته بعد ذلك... "[٤٥]

٩. ذكره معاني في بعض الحروف، وإشارته بالسبق في الإفصاح عنها والإشارة إليها.

ذكر ابن نور الدين معاني في بعض الحروف، وأشار إلى أنه قد تفرد بالسبق في الإفصاح عنها، والإشارة إليها، فمثلا يقول في معرض حديثه عن الهمزة: " ووقع لي معنى تاسع، ولم أره لأحد، وهو الامتنان، كقوله تعالى[٤٦]: **(أَلَمْ نَشْرَح لكَ صَدْرَكَ)** "[٤٧].

. ويقول أيضًا في معرض حديثه عن (إنْ) المكسورة الخفيفة: " ... وبقي عندي معنى سابع فهمته من كلامهم، ولم أجد أحدا ذكره على ما ذكرته، وهو أن يكون معناها التفصيل، كقول دريد بن الصمة:

لَقَدْ كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ فَاكْذِبَنْهَا فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالُ صَبْرِ[٤٨]

أي إمّا كان جزعًا وإمّا كان إجمال صبر "[٤٩].

١٠. الاستقصاء والشمول.

اتسم منهج ابن نور الدين في كتابه: مصابيح المغاني في حروف المعاني بالاستقصاء والشمول، فقد تناول كل حرف من حروف المعاني بكلام مستفيض وشرح مستطيل بأسلوب بليغ بسيط تتجلى فيه بلاغة الإطناب، فانطلق يستوفي الكلام على معاني حروف المعاني وأحكامها، ويستقي من مصادرها المتنوعة.

وبالرغم من ذلك إلا أنه كان يميل في بعض الأحيان إلى الاختصار والإيجاز، فمثلا نراه يقول في معرض حديثه عن الهمزة: " واختلف النحويون في ألف ايمن الله في القسم، فقال سيبويه . رحمة الله عليه . هي ألف وصل واشتقاقه من اليمن، وقال الفراء: هي ألف قطع وهي جمع يمين، وإليه ذهب ابن كيسان، وابن درستويه . رحمهم الله تعالى . ولكل حجة، وليس ذكرها من غرضي "[٥٠].

وأيضًا مما يدل على ميوله في بعض الأحيان إلى الاختصار والإيجاز، قوله: " ولو كان هذا المختصر يحتمل أكثر من هذا لمثلت شيئا كثيرا من صنيعهم في معاني الحروف ومعاني الأفعال وغيرها، وفي هذا كفاية إن شاء الله "[٥١].

ثانيًا: مذهبه النحوي.

يُعدُّ إكثار العالم من استخدام مصطلح نحوي معين أحد المعايير التي يمكننا من خلالها تحديد المذهب النحوي لهذا العالم، فلكل مدرسة نحوية مصطلحات خاصة بها، تميزها عن غيرها من المدارس النحوية الأخرى، فمثلا للبصريين مصطلح وللكوفيين مصطلح، وكل منهما يختلف عن الآخر.

وإذا نظرنا بتمعن في كتاب مصابيح المغاني في حروف المعاني لابن نور الدين نجده قد أكثر من استعمال المصطلح البصري في أغلب فصول الكتاب، وهذا يُعدُّ دليلا على بصريته، وأنه ينتمي لهذه المدرسة النحوية، ومن أمثلة المطلحات البصرية التي استخدمها ابن نور الدين في كتابه ما يأتي:

١. العطف: هو مصطلح نحوي بصري، ويقابله عند الكوفيين النسق[٥٢]، وقد استعمل ابن نور الدين المصطلح البصري دون المصطلح الكوفي، يقول مثلا: " فأما (أَمْ) فقال قوم هي حرف عطف، ومعناها: الاستفهام كالألف إلا أنها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف "[٥٣].

ويقول في موضع آخر في معرض حديثه عن (بل): " أمّا بل فتستعمل على وجهين:

أحدهما: تكون حرف عطف، ومعناها الإضراب عن الأول، وهو جائز بعد النفي وشبهه وفاقا، وفي جوازه بعد الإثبات خلاف بين النحويين. فجوزه البصريون ومنعه الكوفيون "[٥٤].

٢. الصفة: هو مصطلح نحوي بصري، ويقابله عند الكوفيين النعت[٥٥]، وقد اعتمد ابن الدين المصطلح البصري، ومثال ذلك قوله في معرض حديثه عن (غير): " وتستعمل على ستة أوجه: ... الثاني: تكون صفة للنكرة أو ما قرب من النكرة...نحو قوله تعالى[٥٦]: (**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**) "[٥٧].

٣. الجر: أطلق البصريون مصطلح الجر على موضوع الجر وحروف الجر، وأما الكوفيون فيستعملون مصطلح الخفض ومنه مخفوض وحروف الخفض[٥٨]، وقد اعتد ابن نور الدين بالمصطلح البصري، فيقول مثلا في معرض حديثه عن التاء: " أما التاء فإنها تأتي للقسم مع التعجب، وهي حرف جر وتختص باسم الله تعالى، وقد تدخل على رب والرحمن، كقولهم: تربي، وترب الكعبة، وتالرحمن "[٥٩].

. ويقول أيضًا في معرض حديثه عن أوجه (كي): "كي: تأتي على ثلاثة أوجه:... ثانيها: أن

تكون حرف جر ومعناها التعليل "[٦٠].

٤. الظرف: وهو مصطلح بصري، ويسميه الكوفيون بالمحل أو الوعاء، والوعاء مصطلح استعمله الكسائي، واستعمل الفراء مصطلح المحل[٦١]، وقد مال ابن نور الدين للمصطلح البصري، يقول ابن نور الدين: " عَوْضُ: يستعمل في القسم، وهو ظرف لاستغراق المستقبل من الزمان، كما أن (قط) لاستغراق الماضي من الزمان "[٦٢].

هذا وقد وافق ابن نور الدين البصريين في كثير من المسائل النحوية المطروحة، ومنها ما يأتي:

١. المسألة الأولى: (إنْ) الواقعة بعد (ما) أنافية مؤكدة أم زائدة؟

ذهب الكوفيون إلى أنَّ (إنْ) إذا وقعت بعد (ما)، نحو: (ما إنْ زيدٌ قائم) فإنها بمعنى (ما). وذهب البصريون إلى أنها زائدة[٦٣].

وقد ارتضى ابن نور الدين مذهب البصريين، فذهب إلى أن من معانيها: أن تكون زائدة للتوكيد، كقول الشاعر[٦٤]:

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَنْ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي[٦٥]

٢. المسألة الثانية: (نِعْم) هل هي فعل أم اسم؟

ذهب الكوفيون إلى أن (نِعْم) اسم، وذهب البصريون إلى أنها فعل ماض لا يتصرف، وإليه ذهب على بن حمزة الكسائي من الكوفيين[٦٦].

وقد وافق ابن نور الدين البصريين فيما ذهبوا إليه، حيث قال: " وأما نِعْم بكسر النون، ففعل ماض جامد لا يتصرف، ومعناه المدح بالمحاسن كلها، ونقيضه بئس "[٦٧].

٣. المسألة الثالثة: هل ترفع (إنَّ) الخبر؟

ذهب الكوفيون إلى أن (إنَّ) وأخواتها لا ترفع الخبر، نحو: (إنَّ زيدًا قائم)، وما أشبه ذلك. وذهب البصريون إلى أنها ترفع الخبر[٦٨].

وقد ارتضى ابن نور الدين مذهب البصريين، ووافقهم فيما ذهبوا إليه، يقول ابن نور الدين: "فأما (إنّ) فإنها حرف، تنصب الاسم وترفع الخبر، وقد تنصبهما جميعا في لغة قال الشاعر:

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأتِ وَلْتَكُنْ خُطَاكَ خِفَافًا إِنَّ حُرَّاسَنَا أسدًا[٦٩]

وفي الحديث: (إنّ قعر جهنم سبعين خريفا)[٧٠]، ومنهم من حمله على حذف الخبر، أي: تلقاهم أسدا، وحمل القعر على المصدر الذي هو الفعل لا على الظرف، ونصب سبعين على أنه خبر كان المحذوفة تقديره: إنّ بلوغ قعر جهنم يكون في سبعين عامًا "[٧١].

وبعد العرض السابق أقول: لقد كان ابن نور الدين من أصحاب المذهب البصري، وهذا ما اتضح بكثرة استعماله للمصطلحات النحوية البصرية، وبكثرة موافقته للبصريين في المسائل النحوية المطروحة.

هذا وعلى الرغم من بصريته إلا أنه قد وافق الكوفيين في بعض المسائل، نذكر منها ما يأتي:

١. المسألة الأولى: هل تأتي (أو) بمعنى الواو، وبمعنى (بل)؟

ذهب الكوفيون إلى أن (أو) تكون بمعنى الواو، وبمعنى بل. وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو، ولا بمعنى بل[٧٢].

وقد وافق ابن نور الدين الكوفيين فيما ذهبوا إليه، فقد أقر هذين المعنيين لها، يقول ابن نور الدين في معرض حديثه عن (أو): " ولها ثلاثة عشر معنى: ..... الخامس: الجمع المطلق كالواو، قاله الكوفيون والأخفش والجرمي، واحتجوا بجملة من الأبيات قال الشاعر:

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بأنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا[٧٣]...

السادس: الإضراب ك (بل)، فعن سيبويه إجازته بشرطين:

أحدها: تقدم نفي أو نهي، والثاني: إعادة العامل، نحو: ما قام زيد أو ما قام عمرو، ولا يقم زيد أو لايقم عمرو، نقله عنه ابن عصفور. وقال الكوفيون وأبو علي وأبو الفتح وابن برهان تأتي مطلقا واحتجوا بقول جرير[٧٤]:

مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قد بَرَمْتُ بِهِمْ لَمْ أحصِ عِدتَهُمْ إلا بِعَدَّادِ

كَانُوا ثمانينَ أو زادوا ثمانية لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَد قَتَلْتُ أولادي "[٧٥]

٢. المسألة الثانية: ألا تقع (عن) إلا للمجاوزة؟

مذهب البصريين أن (عن) الخافضة لا تقع إلا للمجاوزة فقط، وقال الكوفيون: إنها تجيء لمعان أخر غير المجاوزة[٧٦].

وقد تجاوز ابن نور الدين رأي البصريين، ووافق رأي الكوفيين فأثبت لها من المعاني أحد عشر

معنى منها المجاوزة، يقول ابن نور الدين: " وتنقسم معانيها ـ أي عن ـ إلى أحد عشر معنى: أحدها: المجاوزة ولم يذكر البصريون سواه نحو: سافرت عن البلد وتجاوزت عن كذا. الثاني: الاستعلاء، نحو: **(فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ)**[٧٧] ...الثالث: التعليل، نحو: **(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبيهِ إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ)**[٧٨]...الرابع:

تكون بمعنى (بعد) لأنها تقاربها في المعنى كقوله تعالى: (**عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**)[٧٩]...الخامس: البدل، كقوله تعالى: (**واتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**)[٨٠]...السادس: مرادفة (في) الظرفية، كقول الشاعر:

وآسِ سَرَاةَ الحَيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ وَلا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرَّبَاعَةِ وَانِيَا[٨١]...

السابع: مرادفة (من) كقوله تعالى: (**وَهُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**)[٨٢]... الثامن: مرادفة الباء، كقوله تعالى: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى**)[٨٣]... التاسع: الاستعانة، قاله ابن مالك وغيره، ومثله بـ (رميت عن القوس) لأنهم يقولون أيضًا: رميت بالقوس... العاشر: تكون زائدة للتعويض عن (عن) أخرى محذوفة كقول الشاعر:

أتَجْزَعُ نَفْسٌ أنْ أتَاهَا حِمَامُهَا فَهَلَّا الَّتِي عَنْ بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ[٨٤]...

الحادي عشر: تكون زائدة، كقول الله سبحانه[٨٥]: (**فَلْيَحْذَرِ الذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ**)[٨٦]".

فكلام ابن نور الدين السابق يدل على موافقته الكوفيين في جواز أن تأتي (مِن) الجارة لبدء الغاية في الزمان، وأورد أمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب هي بمثابة حجة للكوفيين فيما ذهبوا إليه، وقد رفض تأول البصريين لشواهد الكوفيين، ووصفها بالتعسف. هذا وقد كان لابن نور الدين آراء تفرَّد بها في بعض حروف المعاني، وهي آراء عبَّر فيها عن وجهة نظره بناءً على معطيات نحوية ألمَّ بها، وفقهها، وغالبًا ما نجده ينوّه بتفرّده بها، ويعبر عنها بعبارات منها: ولم أره لأحد، ولم أر من ذكره، لم أر أحد ذكره، ومما يوضح ذلك ما يأتي:

. قال في معرض حديثه عن من معاني (كيف): " ... الخامس: التوبيخ، ولم أر من ذكره، ولكنه ظاهر ثم وقفت عليه لبعضهم حال كتابتي لهذا الكتاب، ومثله قوله تعالى: (**وَكَيْفَ تَكْفرون وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الله وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**)[٨٧]، لأن الكفر مع العلم بهذه الحال ينبئ على الانهماك في الغفلة والجهل، ثم رأيت بعد ذلك في كتاب الإفصاح أنها ترد لهذين المعنيين جميعًا ومثّل بهذه الآية "[٨٨]

خاتمة البحث

وفي نهاية البحث، فقد توصلتُ إلى جملة من النتائج، من أهمها:

١.كان من منهج ابن نور الدين في حروف المعاني، ما يلي:

. الإكثار من الاستشهاد على المسألة الواحدة.

. بيان معاني القرآن الكريم.

. الإشارة إلى اللغات المختلفة الواردة في الحرف موضع البحث.

. الاعتماد على بعض الأصول والكليات التي تعارف عليها علماء الأصول واللغة.

. الاعتماد على أسلوب الحوار والافتراض.

. ذكره معاني في بعض الحروف، وإشارته بالسبق في الإفصاح عنها والإشارة إليها.

. الاستقصاء والشمول.

٢. كان ابن نور الدين من أصحاب المدرسة البصرية، وهذا ما اتضح بكثرة استعماله المصطلحات النحوية البصرية، وبكثرة موافقاته للبصريين في المسائل والقضايا النحوية المطروحة.

الهوامش:

[1]- الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة (١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م)، ص: ٢٧٦، والإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس،ط٥، سنة (١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م)، ص: ٥٤.

[2] . أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، دار السلام، القاهرة، مصر، ط٢ (١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م)، ص: ١٩٣.

[3] . لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر: ٤١/٩.

[4] . أثر اللغة في اختلاف المجتهدين: ١٩٣.

[5] . رصف المباني: ٢٢. ٢٣.

[6] . مصابيح المغاني، دراسة وتحقيق عائض بن نافع بن ضيف الله العمري، دار المنار، ط١ (١٤١٤هـ .١٩٩٣م): ٣٠.

[7] . التوبة: ٩٢.

[8] . الجمعة: ١١.

[9] . البيت من البحر الوافر، وقائله البرج بن مسهر الطائي، انظر البيت في شرح أبيات مغني اللبيب: ٢٣٤/٢، وفي فتح القريب المجيب: ٢٢٧/١.

[10]. مصابيح المغاني: ٨٧.

[11] . الإسراء: ١.

[12] . التوبة: ١٠٨.

[13] . البيت من البحر الطويل، وقائله النابغة الذبياني، انظر البيت في فتح القريب المجيب: ١٦٣/٣.

[14] . رواه البخاري من حديث أنس . رضي الله عنه . في كتاب الاستسقاء، انظر الحديث في صحيح البخاري: ٢٤٧.

[15] . انظر مصابيح المغاني: ٤٥٧.

[١٦] . الزخرف: ٣٩.

[١٧] . مصابيح المغاني: ٨٠.

[١٨] . الليل: ١.

[١٩] . النجم: ١.

[٢٠] . مصابيح المغاني: ٨٨.

[٢١] . المصدر السابق: ١٤٠ . ١٤١.

[٢٢] . الحجر: ٢.

[٢٣] . البيت من البحر السريع، وقائله ضمرة بن حمزة النهشلي، انظر البيت في الأزهية: ٢٦٢.

[٢٤] . مصابيح المغاني: ٢٥٣ . ٢٥٤.

[٢٥] . المصدر السابق: ٣١٤.

[٢٦] . المصدر السابق: ٣٨٦.

[٢٧] . المصدر السابق: ٤٤٠.

[٢٨] . المصدر السابق: ٢٩٣.

[٢٩] . المصدر السابق: ٣٩١.

[٣٠] . المصدر السابق: ٤٦٩.

[٣١] . هذا الأثر في مغني اللبيب: ٥١/٣.

[٣٢] . مصابيح المغاني: ٣٥٧ . ٣٥٨.

[٣٣] . الأحقاف: ١١.

[٣٤] . مصابيح المغاني: ٣٧٦.

[٣٥] . الأعراف: ٣٨.

[٣٦] . مصابيح المغاني: ٣٧٦.

[٣٧] . قد سبق تخريجهما. انظر الرسالة: ١٠٣.

[٣٨] . مصابيح المغاني: ١٥١ . ١٥٢.

[٣٩] . انظر مثلا مصابيح المغاني: ٢١٦، ٢٨٢، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٥٦.

[٤٠] . البيت من البحر الطويل، وقائله عمر بن أبي ربيعة، وروايته كالتالي:

فوالله ما أدري؛ وإن كنت داريًا بسبع رمين الجمر أم بثمان؟

انظر البيت في فتح القريب المجيب: ١٣/١.

[٤١] . البقرة: ٦.

[٤٢] . البيت من البحر الخفيف، وقائله عمر بن أبي ربيعة، وعجزه:

عدد الرمل والحصى والتراب

انظر البيت في مصابيح المغاني: ٧٢.

[٤٣] . البيت من البحر الطويل، وقائله امرؤ القيس، وعجزه:

كلمع اليدين في حبيٍّ مكلل

انظر البيت في مصابيح المغاني: ٧٣.

[٤٤] . المصدر السابق: ٧١ . ٧٣

[٤٥] . المصدر السابق: ٤٣٧.

[٤٦] . الشرح: ١

[٤٧] . مصابيح المغاني: ٧٦.

[٤٨]. البيت من البحر الوافر، وقائله دريد بن الصمة، انظر البيت في الديوان، تحقيق: عمر عبدالرسول: ١١٠.

[٤٩] . مصابيح المغاني: ١٧٤ . ١٧٥.

[٥٠] . المصدر السابق: ٦٢ . ٦٣.

[٥١] . المصدر السابق: ١٥٩.

[٥٢] . موازنة دلالية بين المصطلح النحوي البصري والكوفي، جاسم محمد: ١٤.

[٥٣] . مصابيح المغاني: ١٢٢.

[٥٤] . المصدر السابق: ٢٠٩.

[٥٥] . موازنة دلالية بين المصطلح النحوي البصري والكوفي: ١٤.

[٥٦] . الفاتحة: ٧.

[٥٧] . مصابيح المغاني: ٢٩٩.

[٥٨] . موازنة دلالية بين المصطلح النحوي البصري والكوفي: ٧.

[٥٩] . مصابيح المغاني: ٢٢٠.

[٦٠] . المصدر السابق: ٣٥٨.

[٦١] . موازنة دلالية بين المصطلح النحوي البصري والكوفي: ١١.

[٦٢] . مصابيح المغاني: ٢٨٨.

[٦٣] . الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، مسألة ٨٩: ٦٣٦/٢.

[٦٤]. البيت من البحر البسيط، وقائله النابغة الذبياني. انظر البيت في فتح القريب المجيب:٤٣/١.

[٦٥] . مصابيح المغاني: ١٧٢ . ١٧٣.

[٦٦] . الإنصاف، مسألة ١٤: ٩٧/١.

[٦٧] . مصابيح المغاني: ٤٩٧.

[٦٨] . الإنصاف، مسألة ٢٢: ١٧٦/١.

[٦٩] . البيت من البحر الطويل، وقائله عمر بن أبي ربيعة، انظر البيت في شرح أبيات مغني اللبيب: ١٨٣/١، وفي فتح القريب المجيب: ٨٢/١.

[٧٠] . أخرجه مسلم عن أبي هريرة، انظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة: ١٠٥.

[٧١] . مصابيح المغاني: ١٥٩ . ١٦٠.

[٧٢] . الإنصاف، مسألة ٦٧: ٤٧٨/١.

[٧٣] . البيت من البحر الطويل، وقائله توبة بن الحمير، انظر البيت في فتح القريب المجيب: ١٥٥/١.

[٧٤] . قد سبق تخريجهما. انظر الرسالة: ١٠٣.

[٧٥] . انظر مصابيح المغاني: ١٤٨ . ١٥٢.

[٧٦] . ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، الزبيدي، تحقيق: طارق الجنابي، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة العربية، ط١ (١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م): ١٦١.

[٧٧] . محمد: ٣٨.

[٧٨] . التوبة: ١١٤.

[٧٩] . المؤمنون: ٤٠.

[٨٠] . البقرة: ٤٨.

[٨١] . البيت من البحر الطويل، وقائله الأعشى، انظر البيت في فتح القريب المجيب: ٧١/٢.

[٨٢] . الشورى: ٢٥.

[٨٣] . النجم: ٣.

[٨٤]. البيت من البحر الطويل، وقائله زيد بن رزين بن الملوح الحارثي، انظر البيت في الجنى الداني: ٢٦٤.

٦. النور: ٦٣.

[٨٦] . مصابيح المغاني: ٢٧٥ . ٢٨٠.

[٨٧] . آل عمران: ١٠١.

[٨٨] . مصابيح المغاني: ٣٣٨.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

. مصابيح المغاني، دراسة وتحقيق عائض بن نافع بن ضيف الله العمري، دار المنار، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م): ٣٠.

ثانيًا: المراجع:

. ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، الزبيدي، تحقيق: طارق الجنابي، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة العربية، ط١ (١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م).

. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين، أبو البركات الأنباري، ومعه كتاب: الانتصاف من الإنصاف، محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر.

. أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، القاهرة، مصر، دار السلام، ط٢ (١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م).

. الأزهية في علم الحروف، الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، (١٤١٣هـ. ١٩٩٣م).

. الجمل في النحو، الخليل بن أحمد، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م).

. الجنى الداني، المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١٣هـ. ١٩٩٢م).

. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاخور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م).

. ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، الدار القومية، (١٣٨٥هـ. ١٩٦٥م).

. رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.

. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط١ (١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م).

. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم، المملكة العربية السعودية، دار السلام، ط٢ (١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م).

. فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب، محمد على طر الدرة، راجعه: محي الدين درويش، مطبعة الأندلس.

. لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر.

. مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

. المدارس النحوية، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط٧.

. مصابيح المغاني في حروف المعاني، ابن نور الموزعي، دراسة وتحقيق: عائض بن نافع بن ضيف الله العمري، دار المنار، ط١ (١٤١٤هـ. ١٩٩٣م).

. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: عبداللطيف محمد الخطيب.

. موازنة دلالية بين المصطلح النحوي البصري والكوفي، جاسم محمد.